مجلة
دراسات إنسانية

تصدرعن جامعة مستغانم
ISSN: 2437-119X

العـدد: 04 (2018)، ص ص 83- 103

التأويل في المذاهب الإسلامية والقانون الإسلامي في فلسفته

بن عاشور صليحة*

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر

تاريخ الاستلام: 2018/05/10 تاريخ النشر: 2018/12/28

الملخص:

من المتشابهات ما لا يعلم حقيقة مآلاتها إلا الله، وإن للراسخين في العلم معرفة نسبية بهذه المآلات، بما أودع الله في ألفاظ هذه المتشابهات، وبما في محكمات القرآن الكريم من دلالات..ولقد شذ عن هذا التوافق أهل الغلو من الظاهرية والباطنية. وعليه يعتبر التأويل سبيل من سبل الغنى الفكري والثراء التشريعي، والكشف عن كنوز الحقائق القرآنية الداعمة للإيمان الديني.. وليس سبيلا لتبديده، كما هو الحال في الهيرمينوطيقا الغربية، أو مسخ الإيمان الديني كما عند الباطنية. ويجوز التأويل لأهله من الراسخين في العلم بالمنقول والمعقول بشروطه وضوابطه.

الكلمات المفتاحية: التأويل؛ المذاهب الإسلامية؛ الفلسفة؛ القانون الإسلامي.

Abstract :

There are similarities that only God knows the reality of their outcome, and those who are firmly rooted in science have a relative knowledge of these outcomes, with what God has deposited in the words of these analogies, and what the meanings of the Holy Qur'an contain. Accordingly, interpretation is a way of intellectual and legislative richness, and of revealing the treasures of Quranic truths that support religious faith.. and not a way to dispel it, as is the case in Western hermeneutics, or metamorphosis of religious faith as in esotericism. Interpretation is permissible for its people who are firmly rooted in knowledge of what is transmitted and what is reasonable, with its conditions and controls

***بن عاشور صليحة**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر

salihabn@yahoo.fr

Keywords: interpretation; Islamic sects; Philosophy; Islamic law.

المقدمة:

إذا كانت الهيرومينوطيقا هي الانبعاث المتطور للتأويل، أو هي الطور المغالي لعلم التأويل الذي عرفته الحضارة الغربية في قراءة النصوص منذ العصر اليوناني، وإذا كانت الهيرومينوطيقا الدينية- في تأويل النص الديني- قد أحلت ما يوحيه عالم القارئ والمتلقي محل الوحي الإلهي.

فإن مسيرة التأويل في الحضارة الإسلامية بدأت بالقرآن الكريم والسنة النبوية مصدرا الوحي والدين، ومعيارا القيم والأخلاق، وضابطا اللغة...فما المراد بالتأويل في القرآن الكريم؟ وما المراد به في السنة النبوية؟ وما المراد به في اللغة؟وما موقف المفسرين من التأويل؟ وما هي القواعد والضوابط والمعايير التي وضعها أصحاب المذاهب الإسلامية للتأويل لجعله معيارا من معايير النظر الفكري؟ هذا ما سأجيب عنه إن شاء الله من خلال هذه المداخلة.

المطلب التمهيدي: التأويل في اللغة والاصطلاح

الفرع الأول: التأويل في اللغة: التأويل مصدر على وزن (تفعيل). وفعله الماضي رباعي مضعف: (أَوَّل). تقول: أَوَّلَ، يُؤَوِّل تأْويلاً. ومادة الكلمة هي: (أوْل).

قال ابن فارس: " أوْل: أصلان. هما: ابتداء الأمر، وانتهاؤه. وقولهم آلَ بمعنى رَجَعَ. والأوْل: بمعنى الانتهاء والمرجع. وتأويل الكلام: عاقبته، وما يؤول وينتهي إليه". 1وقيل أصله من الإيالة وهي السياسة فكأنّ المؤول للكلام ساسه ووضع المعنى فيه موضعه.

قال ابن منظور: " الأَوْلُ : الرجوع، آل الشيءُ يَؤُول أَولاً ومآلاً : رَجَع، وأَوَّل إِليه الشيءَ : رَجَعَه. وأُلْتُ عن الشيء ارتددت . أَوَّلَ الكلامَ : وتَأَوَّله دَبَّره وقدَّره وأَوَّله . وتَأَوَّله فَسَّره وقوله تعالى: (ولَمَّا يأْتهم تأْويلُه)[يونس، 39] أَي لم يكن معهم علم تأْويله. وهذا دليل على أَنّ علم

التأْويل ينبغي أَن ينظر فيه. وقيل معناه لم يأْتهم ما يؤُول إِليه أَمرهم في التكذيب به من العقوبة. ودليل هذا قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 39].

وفي حديث ابن عباس ﷺ {اللهم فَقِّهه في الدين وعَلِّمه التَّأْويل} (البخاري، 1987، 143)،(ابن منظور، 32/11).

ويُستخلص من هذه التعريفات اللغوية أنَّ التأويل يرَاد به في اللغة الرَّد و العودة والصيرورة والرجوع إلى الأصل.

وعلى ذلك يكون معنى "تأويل الكلام": ردهوإرجاعهإلى المعاني الأصلية المقصودة منه.

الفرع الثاني :التأويل في الاصطلاح

للتأويل مفهوم أو دلالة عند السلف تخالف مفهومه عند الخلف(ابن تيمية، 2005، 270/13).

أ - التأويل عند السلف:

قال ابن تيمية: "وأما " التأويل " في لفظ السلف فله معنيان:

" أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء

متقاربا أو مترادفا وهذا - والله أعلم - هو الذي عناه مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله(والمقصود بذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾[آل عمران:7]يعلمون تأويله ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ أي تفسيره) ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره: القول في تأويل قوله كذا وكذا واختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك ومراده التفسير.

والمعنى الثاني في لفظ السلف - وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقا -: هو نفس المراد بالكلام فإن الكلام إن كان طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به"(ابن تيمية، 1394هـ، ص 25-26).

ب -التأويل عند الخلف:

التأويل في عُرف المتأخرين هو: "صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به"(بن تيمية، 2005، 288/13).

فالمتأوّل مطالب بأمرين:

الأمر الأول: أن يبيّن احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه.

الأمر الثاني: أن يبيّن الدليل الذي أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى المعنى المرجوح، وإلاّ كان التأويل فاسدا.

وقال الراغب: "التأويل من الأول أي الرجوع إلى الأصل... وهو رد الش يءإلى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا، ففي العلم نحو: { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ }[آل عمران، 7] وفي الفعل كقوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ أي بيانه الذي هو غايته المقصودة منه"(الأصفهاني، 1412هـ، ص 99).

فالتأويل عند الراغب قسمان:

الأول: رد علمي. وهو رد الكلام إلى حقيقته العلمية.

الثاني: رد عملي. وهو رد الكلام إلى حقيقته العملية، وذلك بأداء المطلوب منه . ومن الأمثلة على ذلك: عن حفص بن عاصم - رحمه الله - عن ابن عمر- رضي الله عنهما-: {أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَفْعَلُهُ}(ابن حنبل، 44/2). أي يتأول هذه الآية: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ) [البقرة: 115]. وفِعْلُه هُنَا نوع من التفسير النبوي، وهو ما يسمَّى بتأوُّل القرآن، ومعنى قوله: (يتأول): أي يطبق ويمتثل.

ومن الأمثلة على ذلك ما روي عن الثوري -رحمه الله - أنه بلغه أنّ أُمّ ولد الرَّبِيْعُ بنُ خُثَيْمٍ من كبار التابعين قالت: {كان الربيع إذا جاءه السائل يقول لي: يا فلانة أعطي السائل سُكَّراً؛ فإن الرَّبِيع يحب السُّكَّر}(ابن عبد البر، 204/1) قال سفيان - يعني الثوري- يتأوّل (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) أي يتأول القرآن؛ وذلك بالامتثال العملي والتطبيق في الحياة الواقعية. فتأويل القرآن هو: رده إلى الغاية المرادة منه علما أو عملا.

المبحث الأول: التأويل في القرآن الكريم

لقد بدأت مسيرة التأويل في الحضارة الإسلامية بالقرآن الكريم الذي هو كتاب الوحي، ومصدر الدين، وموحد الأمة، ومفجر الإبداع الحضاري...

وفي القرآن الكريم يرد التأويل بمعنى التفسير الذي يدرك الكنه والحقيقة والجوهر والمرجعية والمآلات..ولأن القرآن الكريم هو كتاب الوحي الخاتم والخالد..وكتاب الحقيقة الدينية المطلقة، فلقد مثل الكنز المفتوح للعطاء الجديد والمتجدد دائما وأبدا، وذلك حتى يلبي احتياجات كل المستجدات، والإجابات على كل علامات الاستفهام التي يطرحها الواقع المتغير والمتجدد دائما وأبدا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..ولهذه الحكمة جاء في آياته (المحكم) الذي تدرك العقول مآلاته وكنه معارفه وأحكامه دونما حاجة إلى تأويل..وجاء في آياته ، كذلك (المتشابه) الذي يفتح الباب لعقول الراسخين في العلم كي يستنبطوا منه بالاستدلال ما لا تدركه عقول غير الراسخين في العلم، والذي يفتح الباب،كذلك، لأن يكتشف فيه الخلف ما لم يكتشفه السلف..ولأن يبصر فيه أهل العرفان القلبي ما لا يبصره أهل الظاهر ولا أهل العقل المجرد(عمارة، 2006، ص 23) ، وإذا تمعنا في سور القرآن وآياته وجدنا المعاني التي يدور حولها معنى التأويل، كأداة للنظر الفكري.

1 – المطلب الأول: التأويل بمعنى استشراف الحقائق والأبعاد الواقعية أو الحكمة في فقه النهايات أو استشراف المستقبل أو إدراك المآلات.

ورد لفظ التأويل في القرآن الكريم مقترنا بالرؤى في سورة يوسف، ومن ذلك قوله تعالى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)[يوسف:4] فرؤية يوسف عليه السلام للكواكب والشمس والقمر ساجدين هو الظاهر من النص والحاضر، هذا الظاهر الذي تكمن وراءه حقيقة خفية باطنة، ستنكشف مستقبلا في بعدها الواقعي. وقد تمكن يعقوب عليه السلام من إدراكها؛ انطلاقا من ظاهر الرؤيا، "فدلَّته رُؤيا يوسفَ عليهما السَّلام على أنَّ اللَّه تعالى يبلِغه مبلغا من الحكمة، ويصطفيه للنبوّة، وينعم عليه بشرف الدَّارين كما فعل بآبائه، فخاف عليه من حسد

إخوته، فنهاه من أن يقصَّ رؤياه لهم" (أبو حيان، 1993، 239/6). فقال: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: 5]

وهو ما يدل على قدرة إخوة يوسف عليه السلام على إرجاع ظاهر الرؤى إلى صورتها الحقيقية الواقعية، وفقه مآلاتها.

هذه الحقيقة التي آلت وانتهت إليها القصة بعد فترة زمنية طويلة-اختلف المفسرون في مقدارها بين ثمانية عشرة وأربعين سنة وهو الراجح عند الأكثرين (الرازي، 1335هـ، 512/18) - وأحداث وكوائن كثيرة كانت فيها الرؤيا القائد الموجه، تعرف وجهة الأحداث ومحطتها النهائية؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[يوسف: 100] وبهذا البيان تمَّ تأويل الرؤيا، قال أبو حيان: "هذا تأويلُ، أي: عاقبة رؤياي أنَّ تلك الكواكب والشَّمسَ والقمر رأيتهم لِي ساجدين" (أبو حيان، 328/6).

فعندما عاين يوسف عليه السلام سجود أبويه وإخوته أدرك أن ذلك يمثل حقيقة تلك الرؤيا، فقد تحققت وصَحّت بعد سنوات عديدة، فجاء تعبيرها مطابقا لها. فتأويل الرؤيا إذا عبارة عن تحققها في الواقع وانكشافها للجميع بعد خفائها تحققا مطابقا لها.

ويؤيد ذلك قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ أي "أنَّها كانت من الأخبارِ الرَّمزيَّة الَّتي يكاشِف بها العقل الحوادث الْمُغَيَّبَة عن الحِسّ" (ابن عاشور، 57/13) ثم أصبحت واقعا محسوسا ملموسا. قال أبو حيان: " أي: صادقة، رأيت ما يقع لِي فِي المنام يقظة، لا باطل فيها ولا لغو(ابن عاشور، 57/13).

فكأنّ المؤول في تأويل الرؤيا يبتدئ من ظاهر الرؤيا الذي يراه الرائي لينتهي إلى باطنها، وهو صورتها الفعلية الواقعية، فالرؤيا لها مبتدأ ومنتهى. "وتأويل الرؤيا: رد صورتها الظاهرية

المنامية، إلى حقيقتها المادية الواقعية، ورجوع بها إلى حقيقتها، وانتهاء بها إلى نهايتها الحسية، وبيان انطباقها على الواقع، وذكر مآلها ومصيرها"(الخالدي، 1996، ص 49).

وهو نفس المعنى يكشف عنه لفظ التأويل في رؤيا الملك : (وَقالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيا تَعْبُرُونَ (43) قالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ)[يوسف:43- 45]

قال في المنار: " فَعَبْرُهَا وَعُبُورُهَا بِمَعْنَى. . .تَأْوِيلِهَا، وَهُوَ الْإِخْبَارُ بِمَآلِهَا الَّذِي يَقَعُ بَعْدُ"(رضا، 1993، 262/12).

وتعبير الرؤيا الإخبار بما يؤول إليه أمرها، وذكر مرجعها المقصود، واستعمل لفظ التعبير لأنَّ المؤول يَعْبُرُ من علنها إلى سرها، فكأَنَّ المعبر جَازَ ظاهرها إلى بطن منها، والمادة كلها تدور على الجواز من محل إلى محل ومن حال إلى حال، وأكثر ذلك إلى أجود، من عبر النهر - أي شطه - إلى عبره الآخر، وأعرب - إذا أفصح، أي تكلم بكلام العرب فأبان عن مراده، أي أجازه من العجمة والإبهام إلى البيان(البقاعي، 102/10).

"وتعبير الرؤيا هو تأويلها، أي: بيان بعدها الواقعي، وصورتها المادية الحسية في عالم الواقع"(الخالدي، 48).

وهذا ظاهر الرؤيا، ولكن هذا الظاهر غير مراد، فكيف أَوّلَ يوسف عليه السلام الرؤيا؟ قال: (تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ)[يوسف: 47-49]

إذًا أَوَّلها بالكشف لهم عمَّا سيحدث في المستقبل ، وكأنّه ينظر إلى الغيب في ستر رقيق؛ وذلك انطلاقا من ظاهر النص إلى باطنه والغوص في معانيه الدقيقة، وأزاح الستار عن أزمة اقتصادية قادمة، فأرشدهم إلى الإجراءات والاحتياطات التي ينبغي اتخاذها لمواجهة تلك الأزمة ، وكأنّه عليه السلام كما عَبَرَ ظاهر النص إلى باطنه للكشف عن

الحقيقة، عَبَرَ الأزمنة من الحاضر إلى المستقبل؛ لينقل ما سيقع فيه من أحداث بكل أمانة وصدق، وهو ما وقع فعلا بعد زمن على وفق ما أنبأ به عليه السلام. فكَانَ تأويلُه تعبيرا للرؤيا في صورة واقعية محسوسة، ولم يكن مجرد نظرة استشرافية منه عليه السلام للمستقبل، كما قد تكون من بعض البشر الذين يملكون بُعْد النّظر، بل ذلك من قبيل الوحي والإنباء بالغيب المستقبلي الذي يُعد أحد أوجه إعجاز القرآن الكريم.

ولا يخرج التأويل عن هذا المعنى في تأويل يوسف عليه السلام لرؤيا السجينين، قال تعالى: (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِيَ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّيَ أَرَانِيَ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) [يوسف: 36].

فالرائيان في هذه الآية - وهما السجينان- وإن كانا لم يخف عليهما ظاهر الرؤيا إلا أنهما عرفا تماما أنَّ هذا الظاهر غير مراد، إنَّما المراد هو معنى خفي ينبئ بوقوع عظيم وجسيم تنطوي عليه الرؤيا، وتصير إليه الوقائع مستقبلا، هذا المعنى يشير ويرمز إليه ذلك الظاهر ويوحي به، وينتهي إليه؛ ليصبح واقعا محسوسا وملموسا؛ لذلك طلبا استشراف هذا البعد الواقعي للرؤيا من يوسف عليه السلام بسبب ما تفرَّسا فيه من الإمكانات والمؤهلات لذلك، والتي ستجعل لتعبيره شأنا عظيما؛ لذلك استخدما كلمة نبئنا بدل أخبرنا (نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ).

وورد الإحسان هنا مطلقا من القيود، مما جعله محل خلاف في معناه عند المفسرين بين قائل بأنَّه العلم بتعبير الرؤى- وهو المناسب للطلب أو السياق-، والإحسان إلى السجناء، وقد يراد إحسان العبادة، وفي ذلك ما يدل على أن التأويل هِبَة ربانية.

وإلى مثله يشير قول الشعراوي: "ومعنى تأويل الشيء أي معرفة ما يؤول إليه الشيء، ونعلم أنَّ الرُّؤى تأتي كطلاسم، ولها شَفرة رمزية لا يقوم بِحلِّها إلا مَنْ وهبه الله قدرة على ذلك؛ فهي ليست عِلْماً له قواعد وأصول؛ لأنها إلهامات من الله سبحانه وتعالى" (الشعراوي، 6855/11).

فتولى يوسف عليه السلام كشف الستار عن المستقبل، واختصر الزمن في لحظات وأظهر لهم مآل الرؤيا، فقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42)﴾ [يوسف: 41- 42].

فالتأويل لم يخرج عن معنى استشراف الحقائق والأبعاد الواقعية للرؤى أو بعبارة أخرى الحكمة في فقه النهايات والقدرة على إدراك المآلات أو استشراف المستقبل ، وهو ما يحتاج إلى بصيرة نافذة، وهبة إلهية تتجاوز الظاهر والحاضر؛ انطلاقا من مجموعة من المعطيات.

2 -المطلب الثاني: التأويل بمعنى الإنباء بالمستقبل

ولم يَدَع يوسف عليه السلام مجالا للشك في هذه الحقيقة التي جلاها أمام السجينين، والدليل على ذلك أنّ يوسف عليه السلام بإمكانه أن ينبئهما ببعض ما سيحدث في المستقبل، ويتمثل في أوصاف ونوع الطعام الذي يُرزَقانِه قبل إتيان هذا الطعام. رادا العلم بحقيقة بعض ما سيحدث في المستقبل- وهو نوع وأوصاف الطعام الذي سيقدم لهم -إلى الهبة الإلهية، والتعليم الإلهي لعباده المحسنين، قائلا: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: 37]. فالتأويل في هذه الآية أُريد به الإنباء بحدوث الحدث قبل وقوعه، وهو من الإنباء الغي ببي المستقبلي، وهذا ما لا يكون إلا للأنبياء والرّسل – عليهم السلام-.

3 -المطلب الثالث: التأويل بمعنى إرجاع الحوادث إلى عللها وأسبابها بإدراك حقائقها على التَّمام و بيان الحكمة منها (ابن عاشور، 248/12):

الأ حداث في قصة موسى كانت عبارة عن ثلاثة أفعال قام بها الخضر، ولكنها كانت تتحرك على خلاف ما يقتضيه الظاهر، ولم يدرك موسى عليه السلام حينذاك الأسباب والعلل الحقيقية الكامنة وراء تلك الأحداث والوقائع، وهو ما دفعه إلى الاعتراض عليها.

إلاّ أنَّ كَشْف الخضر عن العلل والأسباب والحكم الكامنة وراء تلك الأحداث، وإظهار حقيقتها التي كانت خفية، وإرجاع أفعاله إلى أصلها دفعت كل تلك الاعتراضات المبنية على الظاهر، وبيَّنت أنَّ ما فعله كان مبنيا على العلم بحقائق الأشياء، وبمقتضى الحكمة حيث رام من خلال تلك الأفعال تحقيق المصالح ودرء المفاسد، فعمل بالصالح واجتنب الطالح ؛ لعلمه بحقائق الأشياء، وإن كان ذلك خلاف الظاهر لموسى عليه السلام ولغيره قائلا له: (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)[الكهف: 78].

ولو قابلنا بين اعتراضات موسى عليه السلام وبيان الخضر للعلل بهذا الشكل (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) [الكهف: 71] فكل من يحتكم إلى الظاهر يحكم بلا تردد بأن خرق السفينة من قبيل الإفساد بلا مراء ، إلا أنه سرعان ما يتراجع عن ذلك ويُقر بخلافه عندما يكشف الخضر لموسى عليه السلام عن الأسباب والعلل التي تدل على حكمة متناهية في إدراك الحقيقة الخفية للخرق، وهي منع غصب السفينة، وهو الواقع الذي كان يجهله موسى عليه السلام فأدى به إلى الاعتراض (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) [الكهف: 79].

(فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) [الكهف: 74] فرد مبينا له السبب (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81))[الكهف: 81].

(انْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) [الكهف: 77]قال له مبينا أيضا السبب (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) [الكهف: 82] هكذا علل الخضر لموسى عليه السلام كل تلك الحوادث، وأرجعها إلى حقيقتها، وبيّن له الحكمة منها، بحيث عرف موسى عليه السلام أنّ الخضر كان على حق، ولم يبق مجال للاعتراض والإنكار فقال: (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)[الكهف: 82].

فكل هذه الأحداث لها ظاهر وباطن، والباطن الخفي هو المراد منها، وهو الذي آلت إليه جميع الحوادث، والخضر قام بتأويل الحوادث الثلاثة؛ وذلك برد ظاهرها إلى باطنها، وبيان الحكمة من أفعاله، وهي الحقيقة التي كانت خفية على موسى عليه السلام وأطلع الله عليها الخضر.

فإذا وقعت الحوادث فعلا فإنّ تأويلها يُراد به إرجاعها إلى عللها وأسبابها بإدراك حقائقها على التَّمام، وهو المعنيُّ بالحكمة أو العلم والحكمة.

4 – المطلب الرابع: التأويل بمعنى العاقبة ورجوع الرأي واستقراره بعد التأمل إلى ما فيه الصلاح

ورد مصطلح التأويل في سياق الدعوة للعدل وترك الجور في الكيل والميزان ، قال تعالى: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) [الإسراء: 35] وذلك سعيا لخير الدنيا والآخرة، أما خير الآخرة فيتمثل في الثواب الحاصل بسبب الامتثال، وأما خير الدنيا فيكمن في اطمئنان النفس وسعادتها الناجمة عن الإيفاء، وكلاهما أفضل من الربح الحاصل من التطفيف. وهو ما لا يدرك إلا بالنظر في مآل الإيفاء والتطفيف في الدنيا والآخرة؛ لذلك قال تعالى: (ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) [الإسراء: 35]

كما ورد مصطلح التأويل في سياق الدعوة إلى الطاعة والاحتكام إلى الكتاب والسنة في النزاعات والخصومات في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) [النساء:59]؛ لأن الإنسان عند التأمل يدرك أن الخير والصلاح والعاقبة الحسنة في الرجوع إلى الكتاب والسنة في فك الخلافات والنزاعات، فكأنّه بعد إجالة النظر يرجع عن النزاع الذي قام على الاختلاف في الرأي إلى رأي الشارع الحكيم.

فالدعوة للعدل وترك الجور في الكيل والميزان ، والدعوة إلى الطاعة والاحتكام إلى الكتاب والسنة في النزاعات والخصومات كلاهما خُتِم بقوله تعالى: (خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)

أحسن تأويلا أي: " أحسن إرجاعا، إذا أرجعه المتأمّل إلى مراجعه وعواقبه، لأنَّ الإنسان عند التَّأمُّل يكون كالمنتقل بماهيَّة الشَّيء في مواقعِ الأحوال من الصَّلاح والفساد فإذا كانت الماهيَّة صلاحا استقرَّ رأي المتأمِّل على ما فيها من الصَّلاح، فكأنَّه أرجعها بعد التَّطواف إلى مكانها الصَّالح بها وهو مقرُّها، فأطلق على استقرار الرَّأي بعد التَّأمّل اسم التَّأويل على طريقة التَّمثيل، وشاع ذلك حتَّى ساوى الحقيقة"(ابن عاشور، 99/15).

5 – المطلب الخامس: التأويل إدراك الحقائق الواقعية للغيبيات أو طريق العلم:

قال تعالى: (وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) [الأعراف:52- 53].

فالتأويل في هذه الآية يحتمل معنيين أشار إليهما ابن منظور في قوله: " أَي لم يكن معهم علم تأْويله. وهذا دليل على أَنّ علم التأْويل ينبغي أَن يُنظر فيه. وقيل معناه لم يأْتهم ما يؤُول إِليه أَمرهم في التكذيب به من العقوبة"(ابن منظور، 32/11).

وإليه ذهب ابن عاشور حيث يقول:"والتَّأويل الّذي في هذه الآية يحتمل المعنيين ولعلَّ كليهما مراد، أي لمَّا يأتهم تأويل ما يدَّعون أنَّهم لم يفهموه من معاني القرآن لعدم اعتيادهم بمعرفة أمثالها، مثل حكمة التَّشريع، ... وأيضا لمَا يأتهم تأويل ما حسبوا عدم التَّعجيل به دليلا على الكذب كما قالوا: ﴿إِنْ كانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ [الْأَنْفَال: 32] "(ابن عاشور، 1/ 172-173).

فهو يرى أنّ التأويل في هذه الآية يحتمل معنيين أحدهما: أنّ التأويل طريق للعلم وفهم معاني القرآن.

والثاني: تحقق الأمور الغيبية التي أخبر بها القرآن الكريم، على ما هي عليه في واقع أمرها، قال ابن تيمية: "إنما ذلك مجيء ما أخبر القرآن بوقوعه من القيامة وأشراطها: كالدابة ويأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ومجيء ربك والملك صفا صفا، ... وغير ذلك فحينئذ يقولون: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ وهذا القدر الذي أخبر به القرآن من هذه الأمور لا يعلم وقته وقدره وصفته إلا الله"(ابن تيمية، 278/13).

فللكفار كذبوا بالقرآن الكريم، وبما جاء به من أخبار غيبية كالبعث والجزاء والقيامة وما سيصير إليه أمرهم وغيرها من الغيبيات ؛ انتظارا منهم لوقوع وتحقق ومعاينة ما كذبوا به وعدُّوه محالا، فأنكر القرآن عليهم ذلك.

فمتى اعترف الكفار بأنّ ما جاءت به الرسل هو الحق؟ ذلك بعد معاينة ومشاهدة حقيقة ما أخبر به القرآن الكريم، فما علموه نظريا، ولا عملوا به، وهو ما جعلهم يتشوفون العودة من أجل العمل به وتطبيق ما أخبر به، فأخباره لم تتجاوز في الحياة الدنيا آذانهم.

وهو نفس المعنى الوارد في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: 38-39] أي مشاهدة ما أنذرهم به من العذاب، ويؤيد هذا المعنى ما جاء في

السياق بعده، وهو قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 39]

فتأويل الأمور الغيبية خارج في هذا عن قدرة الإنسان؛ ذلك أنه إدراك الحقائق الغيبية على ما هي عليه، وهذا مما استأثر الله بعلمه، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران:7].

وقد استعمل القرآن التأويل بهذا المعنى، أي إدراك حقائق الغيبيات على ما هي عليه في الواقع، كما استعمله بمعنى وسيلة وطريق للعلم.

فللتأويل يَرِد بمعنى أنه طريق للعلم وفهم معاني القرآن ، و يَرِد بمعنى تحقق الأمور الغيبية التي أخبر بها القرآن الكريم، على ما هي عليه في واقع أمرها.

المبحث الثاني: التأويل في السنة النبوية

ورد التأويل في السنة النبوية في عدد غير قليل من الأحاديث النبوية الشريفة بمعنى التفسير.

فعن ابن عمر، ﷺ، عن النبي ﷺ قال : (رأيت- أي في الرؤيا- سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى أقامت بمهيعة- وهي الجحفة- فأول الرسول ﷺ أن وباء المدينة نقل إلى الجحفة) رواه الإمام أحمد.

وفي تأويل- أي تفسير وإدراك حقيقة ومآل التوجه إلى القبلة، كما ورد في الآية القرآنية:(وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره)البقرة 144. جاء في الأثر، عن سعيد بن جبير عن ابن عمر ، رضي الله عنهم، أن ابن عمر كان يصلي حيثما توجهت به راحلته.. وأنه

قال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلميفعل ذلك ، ويتأول عليه (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره)..رواه الإمام أحمد.

وفيما روته السيدة عائشة ، ﷺ، فلقد كان رسول الله يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي(يتأول القرآن) أي يتأول ويفسر قول الله سبحانه (فسبح بحمد ربك واستغفره) النصر/ 3.رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والإمام أحمد.

وجاء في الأثر التأويل بمعنى تفسير التنزيل..فعن جابر بن عبد الله ﷺ: (..ورسول الله ﷺ، بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي.

المبحث الثالث: موقف جمهورفلاسفة الإسلام من التأويل

وسألخص مواقف كل من أبي حامد الغزالي، وابن رشد، ومحمد الطاهر ابن عاشور.

المطلب الأول: موقف الإمام أبي حامد الغزالي من التأويل

ويحدد الإمام الغزالي معالم القانون الإسلامي لفلسفة التأويل فيما يلي(الغزالي، 1322، ص 384 - 410):

1- ليس هناك فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إلى التأويل، حتى من كان منهم غير ممعن في النظر العقلي.

2- أن معرفة ما يقبل التأويل وما لا يقبل التأويل ليس بالهين، بل لا يستقل به إلا الماهر الحاذق في علم اللغة، والعارف بأصول اللغة، ثم بعادة العرب في الاستعمال في استعاراتها وتجوزاتها ومناهجها في ضروب الأمثال.

3- ولقد اتفقت الفرق الإسلامية على أن جواز التأويل موقوف على قيام البرهان على استحالة الظاهر.. والظاهر الأول هو الوجود الذاتي.

4- واتفقوا على أن البرهان إذا كان قاطعا رخص في التأويل وإن كان بعيدا، فإن لم يكن قاطعا لم يرخص إلا في تأويل قريب سابق إلى الفهم.

5- واتفقوا على أن مراتب الوجود المقبولة، والتي يشملها التصديق والاعتراف بوجود ما أخبر به الرسول ﷺ هي خمس مراتب:

الوجود الذاتي- الوجود الحسي- الوجود الخيالي-الوجود العقلي-الوجود الشبهي.

أ- الوجود الذاتي:وهو الوجود الحقيقي الثابت خارج الحس والعقل، ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة، فيسمى أخذه إدراكا؛ كوجود السموات والأرض، وهو لا يحتاج إلى مثال. وهو الذي يجري على الظاهر ولا يتأول.

ب- الوجود الحسي: وهو ما يتمثل في القوة الباصرة من العين مما لا وجود له خارج العين، وذلك كما يشاهده المريض المتيقظ، إذ قد تتمثل له صورة لا وجود لها خارج حسه حتى يشاهدها كما يشاهد سائر الموجودات الخارجة عن حسه.

ج- الوجود الخيالي: وهي صورة هذه المحسوسات إذا غابت عن حسك، فإنك تقدر أن تخترع في خيالك صورة حصان وإن كنت مغمضا عينيك.

د- الوجود العقلي: وهو أن يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى، فيتلقى العقل مجرد معناه دون أن أن يثبت صورته في خيال أو حس أو خارج، كاليد مثلا لها معنى هو حقيقتها وهي القدرة على البطش والقدرة على البطش وهي اليد العقلية.

هـ- الوجود الشبهي: وهو أن لا يكون نفس الشيء موجودا، لا بصورته ولا بحقيقته، لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل، ولكن يكون الموجود شيئا آخر يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته مثل الغضب في حق الله تعالى.

6- الناس في التأويل على مقامين:

المقام الأول: مقام عوام الخلق، والحق فيه الإتباع والكف عن تغيير الظواهر ،والحذر عن إبداء التصريح بتأويل لم تصرح به الصحابة، والزجر عن الخوض في الكلام والبحث واتباع ما تشابه من الكتاب والسنة.

المقام الثاني: بين النظار الذين اضطربت عقائدهم المأثورة المروية، فينبغي أن يكون بحثهم بقدر الضرورة، وتركهم الظاهر بضرورة البرهان القاطع، ولا ينبغي أن يكفر بعضهم بعضا، بأن يراه غالطا فيما يعتقده برهانا، وليكن للبرهان بينهم قانون متفق عليه يعترف كلهم به..فلا يلزم كفر المتأولين ماداموا يلازمون قانون التأويل.

7- ومن الناس من يبادر إلى التأويل بغلبات الظنون من غير برهان قاطع، ولا ينبغي أن يبادر إلى كفره – أيضا-في كل مقام، بل ينظر فيه، فإن كان تأويله في أمر لا يتعلق بأصول العقائد ومهماتها فلا نكفره، وأما ما يتعلق بأصول العقائد المهمة، فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع، فالأصول الثلاثة – الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر- وكل مالم يحتمل التأويل في نفسه، وتواتر نقله، ولم يتصور أن يقوم برهان على خلافه فمخالفته تكذيب محض.

8- والمخالف قد يخالف نصا متواترا ويزعم أنه مؤول، ولكن ذكر تأويله لا انقداح له أصلا في اللغة، فذلك كفر ، ككلام بعض الباطنية عن بعض صفات الله تعالى،كالعلم، والوجود...

9- ولو أنكر ما ثبت بأخبار الآحاد فلا يلزمه به الكفر، ولو أنكر ما ثبت بالإجماع ففيه نظر؛ للاختلاف حول حجية الإجماع.

فهذه مراتب التأويل وقانونه عند حجة الإسلام أبو حامد الغزالي.

المطلب الثاني: موقف الفيلسوف ابن رشد من التأويل

وأما موقف ابن رشد من التأويل(ابن رشد، 1999، ص 34-65) فهو أكثر تشددا في الاقتصاد في التأويل؛ حيث ذهب إلى أن ما ثبت فيه الإجماع بطريق يقيني لم يصح فيه التأويل، كما ذهب إلى أن المقصد ن التأويل هو الجمع بين المعقول والمنقول، وليس إحلال المعقول محل المنقول.

ويمكن تلخيص شروط التأويل عنده بما يلي:

1- التأويل جائز.

2- في المواضع التي يقوم فيها البرهان على استحالة الظاهر.

3- بشرط تحقق شروط اللغة العربية في المجاز؛ الذي تخرج فيه دلالات الألفاظ من حقيقتها إلى مجازها.

4- وفيما لم يثبت فيه إجماع يقيني على أن المراد هو ظاهر الألفاظ.

5- وبترجيح دلالات ظواهر بعض النصوص على مواطن التأويل في بعضها.

6- ومن أجل الجمع بين المعقول والمنقول.

7- التأويل حق للخاصة من الراسخين في العلم.، وليس للعامة.

8- لا يجوز التأويل في أخبار عالم الغيب، وكذلك المعجزات ومبادئ الشريعة، وكل ما لا يستطيع العقل الإنساني الاستقلال بإدراكه.

9- لا يجوز للحكماء من الفلاسفة تأويل أخبار الغيب ومبادئ الشريعة والمعجزات.

10- الإفراط في التأويل هو سبب الفرقة والافتراق.

المطلب الثالث: موقف الشيخ الطاهر ابن عاشور

حدد ابن عاشور مراتب التشابه وأسبابها بالإستقراء فجعلها عشر مراتب، وخلص إلى أن للتشابه قانونه، كما أن للتأويل قانونه(ابن عاشور، 158/3).وهي قوانين ضابطة لهذا المبحث في فكرنا الإسلامي، فإن وجود المتشابه في القرآن الكريم، ومن ثم وجود ضرورة لتأويل هذا المتشابه، قد مثل وفاء القرآن الكريم بمهمة الكنز الذي لا تنقضي عجائبه ليظل دائما وأبدا مستجيبا لتحقيق الحياة السوية للمكلفين أفرادا وجماعات ومجتمعات، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها(عمارة، 2006، ص 58).

يقول ابن عاشور: (فإن من مقاصد القرآن أمرين آخرين: أحدهما كونه شريعة دائمة، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباط المستنبطين، حتى تؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين)(ابن عاشور، التحرير والتنوير، 172/1-173).

الخاتمة

1- إن الرسالة المعرفية لوجود المتشابه في القرآن، ومنه الدور الفكري للتأويل يتلخص في أن القرآن لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به، ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله، ولأن المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف فيه إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره، وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحدة، ففكر وراجع نفسه وغيره، ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة وقوة في إيمانه ؛ وهو قول الزمخشري(الزمخشري، 412/1-413).

2- التأويل الإسلامي هو السبيل إلى طمأنينة الإيمان الديني ، وليس سبيل تفريغ الدين من الإيمان.

3- علم كامل مآلات المتشابهات هو لصاحب العلم المطلق والكلي والمحيط وهو الله عزوجل.

4- جواز التأويل لأهله من الراسخين في العلم بالمنقول والمعقول بشروطه وضوابطه.

5- من المتشابهات ما لا يعلم حقيقة مآلاتها إلا الله، وإن للراسخين في العلم معرفة نسبية بهذه المآلات، بما أودع الله في ألفاظ هذه المتشابهات، وبما في محكمات القرآن الكريم من دلالات..ولقد شذ عن هذا التوافق أهل الغلو من الظاهرية والباطنية .

6- التأويل سبيل من سبل الغنى الفكري والثراء التشريعي، والكشف عن كنوز الحقائق القرآنية الداعمة للإيمان الديني.. وليس سبيلا لتبديده، كما هو الحال في الهيرمينو طيقا الغربية، أو مسخ الإيمان الديني كما عند الباطنية.

المراجع:

- القرآن الكريم.

- صحيح البخاري حسب ترقيم فتح الباري، دار الشعب، القاهرة، ط 1، (1407هـ – 1987م)، كتاب بدء الوحي، باب وضع الماء عند الخلاء، رقم (143).

- ابن منظور، لسان العرب، مادة: فسر.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس . (1394ه). الإكليل في المتشابه والتأويل، مصر : المطبعة السلفية.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس . (1426 هـ/ 2005 م). مجموع الفتاوى الكبرى، ط . 3، تحق: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء.

- الأصفهاني، الراغب. (1412ه). المفردات في غريب القرآن، تحق: صفوان عدنان داود ي، بيروت: دار العلم الدار الشامية.

- ابن حنبل أحمد. (ب ت). الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، القاهرة: مؤسسة قرطبة.

- ابن عبد البر . (ب ت). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحق: مصطفى البكري، القاهرة: مؤسسة قرطبة.

عمارة، محمد. (2006). قراءة النص الديني، ط. 1، القاهرة: مكتبة الشروق. -

- أبو حيان. (1413ه/1993م). تفسير البحر المحيط، ط. 1، تحق: عادل أحمد بن الموجود، وعلي محمد معوض، وزكريا عبد المجيد النوفي، وأحمد النجولي الحمل، قرضه عبد الحي الفرماوي، بيروت: دار الكتب العلمية.

- الرازي، أبو بكر أحمد بن علي . (1335ه). أحكام القرآن، طبعة مصورة عن ط .1، بيروت: دار الكتاب العربي.

- ابن عاشور، التحرير والتنوير، 57/13.

- الخالدي ، صلاح عبد الفتاح . (1416هـ- 1996م). التفسير والتأويل في القرآن، ط . 1، الأردن: دار النفائس.

- محمد رشيد رضا . (1414هـ / 1993م). تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، بيروت : دار المعرفة.

- البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 102/10.

- الشعراوي، محمد متولي ، تفسير الشعراوي. (ب.ت). أخبار اليوم، قطاع الثقافة، راجع أصله وخرج أحاديثه أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر، أخبار اليوم، إدارة الكتب والمكتبات.

*- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 278/13.

الغزالي، أبو حامد. (1322هـ). المستصفى، ج1، طبعة القاهرة. -

– ابن رشد. (1999). فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، تحق:محمد عمارة، القاهرة.

– الزمخشري، الكشاف،412/1-413.